تعدد الفواعل العنيفة من غير الدول في الحروب الجديدة: مستويات التأثير

Multiplicity of non-state violent actors in the new wars: levels of influence

حميدة لحمر*

جامعة جيجل (الجزائر)

hamida.lahmer@univ-jijel.dz

مخبر العلوم السياسية الجديدة ـ المسيلة

تاريخ الاستلام: 2023/ 04/22	تاريخ المراجعة: 2023/08/02	تاريخ النشر: 2023/12/30

****

ملخص

تطرقنا من خلال هذا العمل لتأثير تصاعد الفواعل العنيفة من غير الدول على مسار الحروب الجديدة، انطلاقا من البحث في ديناميكيات و جوانب هذا التأثير، ففي ظل المتغيرات الجديدة لم تعد الوسائل التقليدية ممثلة في الأسلحة العسكرية كفيلة بالتوصل إلى تسويات مناسبة لمصالح الفواعل غير المتماثلة في الحروب الجديدة، لنخلص في الأخير إلى تبيان مساهمة هذه الفواعل إلى جانب عوامل أخرى في تغيير وسائل الحرب ومجالاتها واستراتيجياتها وأمدها، فقد أصبحت الحروب الجديدة تتميز بتعدد الفواعل وتقاطع المصالح داخل الدولة الواحدة، كأحد مظاهر بداية التفسخ والتحدي الذي تواجهه سيادة الدولة القومية في ظل المتغيرات التي تشهدها العلاقات الدولية لذلك أصبح من الضروري تكييف وسائل وآليات إدارة الحروب والنزاعات بما يتماشى و خصائصها الجديدة.

الكلمات المفتاحية: الفواعل العنيفة من غير الدول، الحروب الجديدة، الدولة القومية، السيادة الوطنية.

Abstract: Through this work, we have touched on the impact of the escalation of non-state violent actors on the course of new wars, based on researching the dynamics and aspects of this influence. The disintegration and challenge facing the

* حميدة لحمر hamida.lahmer@univ-jijel.dz

sovereignty of the nation-state in light of the changes taking place in international relations. Therefore, it has become necessary to adapt the means and mechanisms for managing wars and conflicts in line with its new characteristics
Keywords: non-state violent actors, new wars, nation- state, national sovereignty.

مقدمة.

شهدت فترة ما بعد الحرب الباردة تراجعا للبعد العسكري بين الدول مقابل بروز فواعل لا دولاتية خاصة في الدول ذات التعددية الثقافية والحضارية والإثنية، وفي الدول العاجزة عن القيام بوظائف الإدارة والحكم، نتيجة وجود مشكلات بنيوية أو مشكلات أمنية وسياسية واقتصادية، إذ تملك هذه الفواعل أهدافا سياسية واقتصادية وإيديولوجية تسعى لتحقيقها عن طريق اللجوء إلى العنف، مما جعلها تشكل تحديا حقيقيا للأمن الداخلي ولاستقرار الدولة القومية وبقائها.

لقد كان لانتشار الفواعل العنيفة من غير الدول الأثر الكبير على طبعة حروب ما بعد الحرب الباردة، وعلى وحدوية الدولة القومية من خلال المساهمة في إطالة أمد الحروب والنزاعات الداخلية، وتقوية الولاء تجاه المرجعيات الفرعية، باعتبارها فواعل أساسية بإمكانها استخدام العنف ومختلف وسائل الإكراه التي كان استخدامها حكرا على الدولة، لذلك سوف يتم التطرق في هذا العمل لتأثير هذه الفواعل على مسار الحروب الجديدة وذلك انطلاقا من الإشكالية التالية:

كيف أثرتصاعد الفواعل العنيفة من غيرالدول على طبيعة الحروب الجديدة داخل الدول ؟

يندرج تحت هذه الإشكالية الرئيسية الأسئلة الفرعية التالية:

1- ما المقصود بالفواعل العنيفة من غير الدول؟

2- كيف يمكن تتبع تطور طبيعة الحرب في العلاقات الدولية؟

3- ما هي مستويات تأثير الفواعل العنيفة من غير الدول على مسار الحروب الجديدة؟

ومن أجل الإجابة على هذه الأسئلة نقترح الفرضية الرئيسية التالية:

كلما شاركت الفواعل العنيفة من غير الدول في الحروب الجديدة كلما زاد تعقيدها، وطال أمدها بالنظر لتعدد المصالح وتعارضها.

كما تندرج تحتها مجموعة من الفرضيات الجزئية وهي:

1- تشمل الفواعل العنيفة من غير الدول كل الفواعل التي تستخدم العنف غير المشروع في تحقيق أهدافها.

2- يمكن تتبع مراحل تطور الحرب من خلال تقسيمها لعدة أجيال

3- تساهم الفواعل العنيفة من غير الدول في تعقيد الحروب الجديدة محليا وإقليميا وعالميا.

منهجية الدراسة:

اعتمدت الدراسة لمعالجة هذه الإشكالية على **المنهج التاريخي** من خلال تتبع التطورات الحاصلة على الحرب باعتبارها ظاهرة متجذرة في العلاقات الدولية، من خلال التطرق لمختلف أجيال تطورها حسب إسهامات الباحثين، و المنهج الاستدلالي من خلال عملية التمثيل التي تم إدراجها حول دور الجماعات المسلحة في ليبيا في تعقيد الحرب الداخلية وإطالة أمدها.

إن الهدف من هذه الدراسة هو تبيان تراجع مكانة الدولة القومية، وتأثير ذلك في طبيعة الحروب المعاصرة انطلاقا مما أنتجه القصور الوظيفي للدولة من فواعل جديدة قادرة على كسر احتكار الدولة لوسائل العنف، لذلك فقد تم تناول الموضوع من خلال للمحاور التالية:

المحور الأول: الفواعل العنيفة من غير الدول: مقاربة مفهومية ونظرية

المحور الثاني: تطور الحرب: أجيال الحروب الخمسة

المحور الثالث: مستويات تأثير تصاعد الفواعل العنيفة في مسار الحروب.

1. الفواعل العنيفة: مقاربة مفهومية ونظرية

أضحت العلاقات الدولية ذات صفة تعددية بعد نهاية الحرب الباردة مع تصاعد فواعل جديدة مثل الشركات متعددة الجنسيات والمنظمات الدولية الحكومية وغير الحكومية ومنظمات المجتمع المدني وغيرها ممن أصبح يزاحم الدولة وظيفيا بطرق سلمية وعنيفة، إلا أن الفواعل العنيفة من غير الدول لم تبرز إلا بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، تزامنا مع ما وفره التطور التكنولوجي من إمكانية استعمالها لوسائل العنف المختلفة.

1.1 تعريف الفواعل من غير الدول

يعتبر هذا المفهوم من المفاهيم الخلافية التي يغيب فيها الإجماع حول إعطائه تعريف واضح ودقيق، ويرجع ذلك لكونه مصطلح مشابه لعدة مصطلحات أخرى، من أهمها "الجماعات المسلحة"، "المجموعات غير الشرعية"، "حركات التحرر" وغيرها. (عودة، الشيمي، و أحمد حسين، ص 566)

وحسب مبادرة نداء جنيف Geneva Call فإن الفواعل العنيفة من غير الدول يتم تعريفها على أنها: "جماعة منظمة ذات بنية أساسية للقيادة تعمل خارج سيطرة الدولة، وتستخدم القوة لتحقيق أهدافها، وتمثل هذه الجهات الجماعات المتمردة، ومختلف حكومات الكيانات التي لم يتم الاعتراف بها كليا". ويشمل هذا التعريف أيضا حركات التحرر، المجموعات الإرهابية والجهادية، وكذلك جماعات الاتجار بالسلاح والتي تستخدم العنف خارج حدود الدولة.(Call, 2013, p. 5)

في حين يعرف بيتر ويلتس هذه الفواعل على أنها: "المجموعات المختلفة التي تمارس أعمال عنف أو سلوكا إجراميا مبنيا على أساس العمل من خارج حدودها الوطنية. (أدمام، 2016، ص 230)

حسب برايان هوكينغ وبرايان سميث الفواعل من غير الدول تعرف على أنها: "جماعة أو منظمة تتمتع بالاستقلال أي بمقدار من الحرية عند السعي لتحقيق أهدافها وبالتمثيل، أي تمثيل أتباعها والمؤيدين لها، وبالنفوذ أي القدرة على إحداث فرق تجاه قضية ما في سياق معين مقارنة بتأثير فاعل آخر في القضية ذاتها".

أما بيتر ويلتس فيستخدم مصطلح "الفواعل عبر القومية" Actors Transnational بدلا من استخدام الفواعل من غير الدول (أدمام، 2016، ص 226)، وحسبه يتم تعريفها على أنها: "أي طرف فاعل باستثناء الحكومات"، وتنقسم إلى قسمين، يشمل القسم الأول الفواعل الشرعية المتمثلة في المنظمات غير الحكومية والأحزاب السياسية والشركات العابرة للحدود التي تنشط بطريقة قانونية، في حين يضم القسم الثاني رجال العصابات وحركات التحرر وشبكات الإجرام التي تمارس نشاطاتها بطريقة غير رسمية وغير قانونية. (أدمام، 2016، ص 227).

من خلال هذه التعريفات يمكن القول بأن الفواعل العنيفة من غير الدول قد تتخذ أشكالا متعددة حسب ما تنتجه البيئة المولدة لها ، لكنها مع اختلاف أشكالها فهي تشترك جميعا في استخدام العنف كطريقة لتحقيق أهدافها مستغلة الهشاشة المؤسساتية التي تعيشها الدولة.

2.1 أنواع الفواعل العنيفة من غير الدول

تعددت هذه الأنواع واختلفت، ولعل أهمها يتمثل فيما يلي:

✓ **أمراء الحرب:** هم أفراد يمتلكون صفات كاريزمية، وفي الغالب لديهم خلفية عسكرية من خلالها يمكنهم السيطرة على بعض الأقاليم، كما أنهم على استعداد تام لاستخدام القوة العسكرية ضد أي منافس. ويسعى أمراء الحرب للوصول إلى السلطة وبسط سيطرتهم على الموارد، وفي سبيل ذلك يلجئون إلى ممارسة السلطة السياسية على جزء من أراضي الدولة من أجل استغلال مقدراتها وثرواتها.(Phil, 2008, p. 9) .

✓ **الميليشيات:** تعتبر الميليشيات "قوة مسلحة غير نظامية تعمل ضمن أراضي دولة ضعيفة و/أو فاشلة"، وفي الغالب يكون أعضاؤها من فئة الشباب الذكور الذي ينظمون طوعا أو كرها، وهي قائمة بالأساس على استخدام القوة في الحصول على الموارد. ورغم أن نشاطها يتصف بكونه خارج إطار القانون إلا أنها تدعي بأن هدفها هو توفير الأمن الذي استعصى على الحكومة المركزية، وهذا ما يجعلها كيانات مشروع تحل محل غياب المؤسسات الأمنية المحلية والإقليمية والعالمية. (Phil, 2008, p. 10).

✓ **شركات الأمن الخاصة:** عرفت هذه الشركات تطورا ملحوظا سواء في عددها أو في نشاطها وخاصة بعد حربي أفغانستان والعراق الأخيرتين، وتقوم هذه الشركات بعدة وظائف منها حراسة المنشئات وحماية القوافل العسكرية والحراسة الشخصية وتدريب القوات المسلحة وشراء الأسلحة وجمع المعلومات الاستخباراتية وإنقاذ الرهائن وغيرها، هذه الوظائف تقوم بها هذه الشركات في إطار تبعيتها للدولة الأم، إلا أنه ومع تزايد الاعتماد على هذه الشركات خاصة في إطار الحرب على العراق واتهامها بالقيام بأعمال عدائية وتخريبية دفع بالعديد من المهتمين إلى طرح العديد من التساؤلات حول مدى شرعية وتبعية هذه الشركات للدولة المستخدمة. (أدمام، 2016، ص ص 249 - 250).

✓ **القوات شبه العسكرية:** تتكون هذه القوات من عناصر مدنية أو قدماء العسكريين باتفاق ضمني أو معلن مع السلطات، وفي الغالب يكون نشاطها محدود وفي أماكن معزولة، إضافة إلى ذلك يصعب في كثير من الأحيان السيطرة على هذه القوات. (أدمام، 2016، ص 251).

✓ **حركات التمرد:** يتم تعريف حركات التمرد على أنها: "حركة منظمة تهدف إلى الإطاحة بالحكومة القائمة من خلال استخدام التخريب والنزاع المسلح"، وتهدف هذه الحركات إلى استبدال الحكومة الحالية أو الاستيلاء على السلطة من خلال العمل الثوري، لكن في أحيان كثيرة تكون أهدافها محدودة. (Phil, 2008, p. 12)، يمكن في هذا السياق التمثيل بحركة الشباب الصومالية التي انسلخت من اتحاد المحاكم الاسلامية التي تأسست من أجل مواجهة أمراء الحرب في مقديشو، وهي قوة قتالية تضم حوالي 400 عضو من الشباب وبقايا عناصر الحركة الاسلامية السابقة أي الاتحاد الإسلامي، فقد تشكلت حركة الشباب الصومالي بعد أن قام هذا الأخير بقيادة انقلاب عسكري ضد الحكومة الاتحادية الانتقالية الصومالية، والذي تم قمعه وإخماده بعد تدخل القوات الإثيوبية في ديسمبر 2006، مما أشعل التوجهات المتطرفة المدعمة من حركة الشباب ومع انسحاب القوات الإثيوبية سنة 2009، شنت حركة الشباب شهر ماي هجوما سيطرت على إثره على أجزاء كبيرة من مقديشو (بشكيط، 2018، ص ص 20-21)

✓ **المنظمات الإرهابية:** تقوم المنظمات الإرهابية باستخدام الإرهاب كأسلوب قائم على توظيف العنف غير المشروع ضد أهداف مدنية، كما أنها تسعى لتحقيق أهداف عن طريق توظيف العنف والتخويف. (عودة، الشيمي، و أحمد حسين، الفواعل العنيفة من غير الدول: رؤية استطلاعية، صفحة 569)، وقد أصبحت هذه المنظمات تتميز بكونها عابرة للحدود الوطنية. تمثل مالي أحد الأمثلة التي استغلت فيها الجماعات الإرهابية وضعها الأمني غير المستقر من أجل مزاولة نشاطها، حتى أنها تمكنت من الاستيلاء على مدن جديدة واستمرت في زحفها نحو العاصمة باماكو، مما دفع بالرئيس المالي "يوكوندا تراوري" لطلب المساعدة الفرنسية ، وتتمثل أهم المنظمات الإرهابية المؤثرة في المنطقة في تنظيم القاعدة في المغرب الإسلامي. (عطية، ص

ص 90-91)، بالإضافة إلى حركة التوحيد والجهاد التي انشقت عن القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي عام 2011 بقيادة الموريتاني "حمادة ولد محمد خيرو"، التي تقوم بعمليات اختطاف من أجل تمويل أنشطتها بعد الحصول على الفدية. وتنظيم بوكو حرام التي تأسست في نيجيريا سنة 2002 بهدف الإطاحة بالحكومة النيجيرية(بشكيط، 2018، ص 219).

✓ **التنظيمات الإجرامية:** تختلف هذه التنظيمات عن غيرها من حيث الحجم أو النشاط أو حتى من حيث أهدافها، فبعض هذه التنظيمات تنتظم هراركيا، في حين نجد أخرى تخضع للتنظيم الشبكي، هذا الأخير الذي أصبح يتزايد باستمرار خاصة وأنها أصبحت عابرة للحدود الوطنية للدول. (Phil, 2008, p. 15)، وغالبا ما نجد لهذه التنظيمات علاقات ارتباطية مع الجماعات الإرهابية، فالرغم من اختلاف أهدافها إلا أنشطتها متكاملة؛ بحيث توفر الجماعات الاجرامية التمويل للجماعات الإرهابية، وتوفر هذه الأخيرة الحماية للجماعات الإجرامية، فقد أشار تقرير وزارة الخارجية الأمريكية حول الوضع الأمني في الساحل، إلى أن تجارة المخدرات هي إحدى طرق تمويل الإرهاب ، مما ساعد هذا الأخير على تجديد قوته القتالية، خاصة في ظل توطيد علاقاته مع الفاعلين غير الشرعيين المحليين (بشكيط، 2018، ص 227).

✓ **شبكات المرتزقة:** تضم هذه الشبكات قدماء المحاربين الذين لم تستطع دولهم إعادة إدماجهم اجتماعيا بعد تسريحهم، وهو ما يعتبر فرصة سانحة لضمهم لجماعات مسلحة مقابل عوائد مالية (أدمام، 2016، ص 254)، في هذا السياق يمكن التمثيل بالوضع الفوضوي داخل ليبيا؛ حيث اجتمع فيها العديد من الجماعات المقاتلة من داخل ليبيا ومن خارجها، مثل حركة جيش تحرير السودان بقيادة "منى مناوي" والمجلس الانتقالي لحركة تحرير السودان وحركة العدل والمساواة السودانية، بالإضافة إلى المئات من المقاتلين المرتزقة الذين يتقاضون أجرا شهريا يتراوح بين 250 0 500 دولار، كما تشير التقديرات إلى أن 3000 من المرتزقة السودانيين يقاتلون في ليبيا من أجل أهداف مادية.

في ذات السياق يوجد مجموعة من المقاتلين الروسيين الذين يقومون بمهام قتالية ومهام حراسة الشخصيات المهمة والموارد النفطية، ومرتزقة سوريين أرسلتهم تركيا عقب توقيع الاتفاق الأمني مع حكومة السراج من أجل القتال في ليبيا، وهم من المجموعات الجهادية المختلفة التي تنشط في سوريا مثل لواء المعتصم، وفرقة السلطان مراد ولواء صقور الشمال وفيلق الشام وفرقة الحمزات وغيرها. وقد كان هذا الارسال علنيا من أجل دعم حكومة الوفاق الوطني ضد قوات المشير حفتر بعد موافقة البرلمان التركي على ذلك. (مؤسسة ماعت للسلام والتنمية وحقوق الانسان، 2020، ص ص 3-4).

✓ **عصابات الاتجار غير المشروع بالأسلحة:** لقد تطور نشاط هذه العصابات التي لم تعد تكتفي بالمتاجرة في الأسلحة الخفيفة، وإنما تعدى نشاطها ليشمل أسلحة الدمار الشامل.(Djebbi, 2010) . على اعتبار أن الفواعل العنيفة من غير الدول خاصة منها العبرة للحدود الوطنية قد أصبحت متمكنة من التكنولوجيا المتطورة.

3.1 نماذج نظرية لدراسة الفواعل العنيفة من غير الدول

نتطرق في هذا العنصر لأهم النماذج التي ركزت على جملة من المتغيرات الكبرى التي تطرأ على النظام الدولي، والتي تدفع باتجاه تفعيل نشاط فواعل صاعدة من غير الدولة القومية .

1- نموذج أورانغ يونغ Orang R. Young:

انطلق "أورانغ يونغ" في دراسته من طبيعة الأنظمة الدولية التي لا تخضع لبنى ثابتة، كونها تتعرض لتغيرات مستمرة طوال دورة حياتها، فغالبا ما تنتج هذه التغيرات بسبب الإخفاقات التي تشهدها الأنظمة المترابطة داخليا نتيجة للضغط المتزايد عليها، ذلك ما يحدث في الأنماط التقليدية للنظم الداخلية للدولة، أي التأثير على سلوك الفرد والجماعات، فيكون التحول في شكل تغير علاقة الدولة بمكوناتها الداخلية انطلاقا من تراجع شرعيتها في أداء وظائفها (عودة و الشيمي، 2017، ص 571) .

2- نموذج غاسبر، توماس و بارتلومي Casebeer & Thomase& Bartolomei

يعتمد هذا النموذج على منهجية متعددة التخصصات، تشمل نظرية الأنظمة المفتوحة التي تعتبر إطارا عالميا لمشكلة عالمية، انطلاقا من الاسترشاد بنظرية التنظيم الحديثة التي تعتمد على الوسائل والآليات الخاصة بعمليات هندسة الأنظمة، ويتطلب فحصها المستويات المترابطة التالية: (عودة و الشيمي، 2017، ص ص 571-572).

- **مستوى البيئة المحيطة**: أي الإلمام بمختلف الظروف المحيطة والديناميكيات المؤثرة التي تساعد في تشكيل الفواعل العنيفة من غير الدول.

- **المستوى التنظيمي**: ويشمل العناصر الشاملة، والعلاقات التي تمكن الفواعل العنيفة من غير الدول من التطور والتكيف.

- **مستوى الأنظمة الفرعية**: وتشمل المتغيرات الدينامكية الداخلية، التي تكشف عن نقاط الضعف الخاصة بها، ويركز هذا المستوى على وظائف الفواعل العنيفة من غير الدول في سياق مضطرب.

جدير بالذكر أن الفواعل العنيفة من غير الدول تسلك العنف تحت تأثير خمسة عوامل أساسية هي: ندرة الموارد، الحرمان الاقتصادي والاجتماعي، الضغوط الديموغرافية، الجريمة المنظمة والفساد، والانشقاقات الهوياتية، كما تضمن هذا النموذج دورة حياة هذه الفواعل التي تشمل المراحل التالية(عودة و الشيمي، 2017، ص 573):

- **مرحلة الحضانة**: وهي مرحلة ظهور هذه الفواعل.

- **مرحلة الحمل**: وهي المرحلة التي تأخذ فيها هذه الفواعل شكلها الأولي، ثم تتكيف مع البيئة المحيطة فتصبح أكثر تعقيدا.

- **مرحلة النضج**: هي المرحلة التي تتمكن فيها هذه الفواعل من توليد خلفاء لها.

ما يمكن ملاحظته أن هذه النماذج النظرية قد ركزت على الطابع الديناميكي والمتغير للعلاقات الدولية، والذي من شأنه أن يوفر فرصا مناسبة لنمو وتطور فواعل جديدة.

2. تطور الحرب: أجيال الحروب الخمسة

شهدت الحرب منذ القدم العديد من التحولات تبعا للتطور الذي عرفته الإنسانية، والذي أسفر عن تغير في طبيعة فواعل الحرب وأولوياتها وأهدافها .

1.2 تعريف الحرب: يتم تعريف الحرب على أنها "استمرار للسياسة بأدوات أخرى"، أما بالنسبة لكارل فون كلاوزفيتز فالحرب هي "مجرد أداة لتحقيق هدف واحد وهو إجبار العدو على الانصياع لإرادة الدولة وفرض السلام وفق الشروط التي تحقق مصالح الطرف المنتصر".

إلا أنه في حالات كثيرة لا يقتصر الهدف من الحرب على تحقيق النصر وإلحاق الهزيمة بالدولة العدو، ولكن أيضا تهدف إلى تحقيق المصالح القومية للدولة من خلال ضمان أمنها وبقائها.

أما جونسون فقد عرف الحرب على أنها: "صراع مسلح بين مجموعات من البشر، سواء تمثلت في قبائل أو دول، أو كيانات دينية أو اقتصادية" (منصور، 2019، ص ص 15-16)

لقد عرفت الحرب عدة تحولات وتغيرات خلال العقدين الأخيرين تمثلت في:

- تراجع الصراعات بين الدول وبروز الحرب الداخلية، هذه الأخيرة غالبا ما تشجع على تدخل أطراف إقليمية ودولية في هذه الصراعات الداخلية خدمة لمصالح حلفائها.
- تنامي التعاون ما بين الفواعل المسلحة من دون الدول سعيا منها لتحقيق أهداف كل طرف.
- انتشار الصراعات الممتدة وذلك ناتج بالأساس عن تباين واختلاف وحتى تضارب أهداف الأطراف الفاعلة في الصراع.
- تراجع الخطوط الفاصلة بين حالتي الحرب والسلم، ويتجلى ذلك من خلال توظيف أدوات الحرب في وقت السلم مثل الحرب المعلوماتية والاقتصادية.
- ضعف الولاء للدولة الوطنية خاصة مع الترويج لبعض الإيديولوجيات العابرة للحدود الوطنية. (منصور، 2019، ص ص 19-20)

2.2 تطور الحروب التقليدية

عرفت الحروب تغيرات جذرية على مستوى الوسائل والعتاد والآليات على امتداد تاريخها.

أ/ حروب الجيل الأول: كانت هذه الحروب تعتمد بالأساس على استخدام الأسلحة البدائية، حيث كان يتم حشد قوات ضخمة من الجنود في المعارك بهدف ضمان انتصار عسكري حاسم من أول مواجهة، ويمكن القول بأن أهمية هذا النوع من الحروب تكمن في تكريس ثقافة الانضباط والنظام العسكري.

ب/ حروب الجيل الثاني: لقد ساهم التطور التكنولوجي وخاصة مع تطور الصناعة العسكرية في أن يتم الاعتماد في المعارك على سلاح المدفعية والمدرعات، وهذا ما دفع إلى التقليل من الاعتماد على أعداد كبيرة من المجندين، وهو نوع من الحروب قائم على الاستنزاف. وقد عرف وليام ليند هذه الحرب بأنها شبيهة بالجيل الأول من الحروب التقليدية، استخدمت فيها النيران والدبابات والطائرات، نتيجة التطور التكنولوجي ما أدى إلى التراجع عن تكتيكات حشد عدد كبير من القوات في ميدان المعركة، هدفها الأساسي هو الاستنزاف، من خلال الإطلاق المفرط للنار وللمدافع بشكل غير مباشر لإحراق الأرض؛ أي أن هذا النمط من الحرب يدور بين جيش نظامي تقليدي ومجموعات مقاتلة، مما يعني أنها حروب غير متكافئة. (فريخ، 2021، ص ص 546-547)

ج/ حروب الجيل الثالث: ظهر هذا النمط من الحروب خلال الحرب العالمية الثانية وذلك مع اعتماد الألمان على الحرب الخاطفة، وقد ساهم في تطور هذا النمط من الحروب التطور التكنولوجي المستمر، خاصة مع ظهور الطائرات المقاتلة، إلى جانب الاهتمام بالأفكار التي من شأنها أن تحدث فارقا أثناء المعركة، وهذا الجيل من الحروب قائم أساسا على المناورة بدلا من الاستنزاف، ويكون التركيز فيها على العدو وليس على الانضباط الداخلي، ولهذا أصبحت المبادرة مطلوبة من أجل تحقيق نتائج إيجابية. (منصور، 2019، ص ص 26-27)

3.2 تصاعد أنماط جديدة من الحروب

انفجرت بعد الحرب الباردة قضايا الهوية على نطاق واسع في شكل حروب ونزاعات راح ضحيتها عشرات الآلاف حياتهم ثمنا لها، تنشب ذه الحروب والنزاعات في إطار تآكل القدرة على الاحتكام إلى وسائل العنف المشروع وانهيار الدولة بمختلف مؤسساتها، تدور أهداف هذه الحروب حسب "كالدور" حول سياسة الهوية لكنها تنطوي في نفس الوقت على روابط عابرة للدول والمجتمعات، حتى أضحى التمييز بين الداخل والخارج غير ممكن. (كالدور، 2009، ص 6)، وتتضمن سمات من حقبة ما بعد الحداثة وسمات من حقبة الحداثة في ذات الوقت، تزامنا مع انهيار الإيديولوجيات الكبرى التي كانت سائدة خلال الحرب الباردة.

آ/ حروب الجيل الرابع: شهدت فترة ما بعد الحرب الباردة أنماط جديدة من الحروب تختلف عن الحروب التقليدية في وأهدافها والآليات التي تعتمدها، فلم تعد تعتمد على الوسائل العسكرية فقط وإنما اعتمدت أيضا الوسائل الاقتصادية والثقافية و الإعلامية، وما يميز حروب الجيل الرابع هو ما يلي:

- الامتداد الزماني: قد تمتد هذه الحروب لسنوات أو حتى لعقود طويلة (حرب فيتنام والولايات المتحدة الأمريكية).
- أولوية الأبعاد السياسية: لأن الهدف من هذه الحروب ليس تحقيق النصر العسكري وإنما تحقيق النصر السياسي من خلال تحطيم إرادة العدو وزيادة تكلفة استمراره في الحرب.
- تصاعد استهداف المدنيين: خاصة وأن القتال يحدث في مناطق مأهولة بالسكان.
- تعدد ساحات القتال: حيث لا يمكن حصر ساحة المعركة في نطاق جغرافي محدد.
- محورية حرب المعلومات: من خلال توظيف وسائل الإعلام والاتصال لإبراز صورة الانتهاكات التي تقوم بها الدولة ضد المدنيين أثناء العمليات العسكرية مع المتمردين.
- تدخل الأطراف الخارجية: حيث يمكن للدول أو الفواعل من غير الدول أن تتدخل في الحروب لإطالة أمدها أو استنزاف الخصم. (منصور، 2019،ص ص 28، 31)، فحروب الجيل الرابع تختلف عن الحروب التقليدية في إطارها المكاني وفواعلها والآليات المعتمدة فيها.

ب/ حروب الجيل الخامس:

✓ **عوامل بروز حروب الجيل الخامس:** أدى إلى بروز هذا النمط من الحروب جملة من العوامل نوجز أهمها فيما يلي:

1/ تراجع احتكار القوة: يتجلى ذلك في تراجع قدرة الدولة القومية على احتكار استخدام القوة، بالنظر لبروز فواعل جديدة من غير الدول قادرة على شن الحروب، ومن الأمثلة على ذلك التنظيمات الإرهابية، عصابات الجريمة المنظمة وغيرها، وبالتالي أصبحت هذه الفواعل تنافس الدولة في قرار شن الحرب.

2/ تنامي الاعتماد المتبادل: وذلك من خلال زيادة الارتباط بين مختلف مجالات العلاقات الدولية وتأثيرها على الأمن الوطني والدولي.

3/ صعود الولاءات البديلة: ساهمت العولمة وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات إلى تحويل الأفراد لولائهم من الدولة القومية إلى الولاء لقضايا معينة، خاصة مع تزايد استعمال وتوظيف شبكة الانترنيت ومواقع التواصل الاجتماعي في الترويج وإثارة العديد من القضايا التي تختلف عن الواقع الفعلي الذي يعيشه هؤلاء الأفراد.

4/ تسارع التطورات التكنولوجية: لقد ساهم التطور التكنولوجي وخاصة في مجال الذكاء الاصطناعي، والطباعة ثلاثية الأبعاد، وتكنولوجيا النانو وغيرها في زيادة قدرة الفواعل العنيفة من غير الدول على شن الحروب، هذه التكنولوجيات رغم أنها تكون مكلفة في بداية إنتاجها، إلا أنها تصبح متاحة للجميع فيما بعد، مما يمكن هذه الفواعل من غير الدول من امتلاكها واستخدامها في الحروب (منصور، 2019، ص 40).

✓ **خصائص حروب الجيل الخامس:** يتسم هذا النوع من الحروب بالخصائص التالية:

- **انتشار المناطق الرمادية:** وهي تعني التفاعلات التنافسية بين الفواعل وداخلها، الدولية منها وغير الدولية، والتي تقع في منطقة وسط بين ثنائية الحرب والسلم، حيث تتميز بغموض حول طبيعة الصراع وأطرافه وكذا السياسة الواجب انتهاجها.

كما يتم تعريفها أيضا على أنها: «إتباع التكتيكات التي تهدف إلى تغيير الأمر الواقع دون اللجوء إلى خيار الحرب»، ولا يتم التركيز في المناطق الرمادية على تحقيق النصر العسكري الحاسم، وإنما يتم التركيز على تحقيق الهدف النهائي من الحرب وهو

هزيمة وتدمير الخصم نهائيا خلال فترة زمنية، وقد نتج عن هذا التطور تلاشي الحدود الفاصلة بين ما يتم اعتباره سلاحا وبين ما يشكل أرض معركة وما لا يشكل أرض للمعركة، وبين المقاتلين وغير المقاتلين، وبين الدولة والفواعل ما دون الدولة.

وتعرف المناطق الرمادية ثلاثة تكتيكات أساسية هي: (منصور، 2019، ص 46)

* إجراء التعديلات التدريجية من خلال اعتماد العديد من الإجراءات الهادفة لتغيير الوضع القائم تدريجيا.

* الاستعانة بالوسطاء أو الأطراف الثالثة وذلك من خلال الاعتماد على فواعل من دون الدول من أجل تجنب الدخول في حرب مع دول أخرى، وقد تتخذ شكل الحرب بالوكالة أو الإرهاب المدعوم من الدولة.

* فرض الأمر الواقع، ويقصد به الأفعال الأحادية التي تقوم بها إحدى الدول ضد دولة أخرى مناوئة لها، من أجل إجبارها على الاختيار بين بديلين، إما الدخول في علاقات صراعية أو عدم القيام بأي فعل.

- **إتباع الحروب الهجينة:** يشير مفهوم الحرب الهجينة إلى التوظيف الكامل للوسائل العسكرية وغير العسكرية للدولة لتحقيق أهدافها السياسية، وذلك من خلال التهديد باستخدام القوة أو استخدامها فعلا. وقد عرفها هوفمان في كتابه عام 2007 حول الصراع في القرن الحادي والعشرين بأنها «مجموعة كاملة من أساليب المواجهة، بما في ذلك القدرات التقليدية والتكتيكات غير النظامية والتشكيلات، والأعمال الإرهابية، بما في ذلك الهجمات العشوائية والإكراه، وكذلك الاضطرابات الإجرامية»، وحسب "هوفمان" يمكن أن تجرى هذه العمليات من طرف الجهات الحكومية وغير الحكومية على حد سواء (خلف، 2018، ص 48)، يتضح من هذا التعريف غياب الحدود في الحرب الهجينة بين أنماط النزاع والفاعلين المتنازعين أو المتحاربين بالنظر لحالة التعدد التي تشوبها.

وتتمثل خصائص الحروب الهجينة في:

- استخدام أساليب متعددة تتراوح بين الدبلوماسية، الحرب بالوكالة، زعزعة الاستقرار الاقتصادي، الهجمات السيبرانية وغيرها.

- تجنب الصدام المباشر من أجل منع التصعيد

- مشاركة الفاعلين من غير الدول كفاعلين أساسيين إلى جانب الدولة

- الغموض وعدم الوضوح هو الوضع السائد في هذا النمط من الحروب بسبب استخدام مزيج متعدد من التكتيكات والاستراتيجيات والهجمات.

- المرونة الكبيرة والقدرة على التكيف بالرغم من قلة الموارد المخصصة لها نسبيا.

- اعتماد مفهوم ساحة الحرب المفتوحة زمنيا ومكانيا (خلف، 2018، ص 51).

- تشكيل التحالفات الواسعة: حيث تضم التحالفات في هذا النمط من الحروب فواعل دولية وغير دولية، وقد أصبحت الفواعل المسلحة من غير الدول فواعل أساسية في المعارك، ويرجع تزايد أدوارها نتيجة لعجز الدولة عن استعمال قوتها المسلحة التقليدية بسبب ارتفاع تكلفة اللجوء لها.

- غياب الطابع المؤسسي: تميزت الأجيال الأربعة الأولى للحروب بكونها تحدث بين أطراف تؤطرها هياكل مؤسسية، في حين أن حروب الجيل الخامس تختلف عن سابقتها بكونها حروب شبكية، أين يغيب فيها الهيكل المؤسسي للأطراف المنخرطة في الصراعات.

تمثل الحروب الهجينة النواة الصلبة لحروب الجيل الخامس، والتي تختلف عن الأجيال الأربعة السابقة لها سواء من حيث مجالات الصراع أو أدواته (منصور، 2019، ص 84)، وقد تكون الحروب الهجينة بين الدول كما قد تكون داخلها.

2.3 تعدد مجالات حروب الجيل الخامس: تتميز حروب الجيل الخامس بتعدد مجالاتها وتداخلها؛ حيث تجمع بين التقليدية منها والحديثة التي تستخدم فيها مختلف الوسائل التكنولوجية، ومن أهم هذه المجالات ما يلي:

✓ **الحرب الاقتصادية:** تدور هذه الحرب على الصراع على الموارد الاقتصادية والطاقوية، إذ أصبح الاقتصاد معيار أساسي للحكم على قوة الدول، حيث أن هذه الأخيرة توظفه في سعيها لتحقيق أهدافها وفرض سياساتها وذلك عن طريق الضغط على الدول المعادية لها.

ومن أهم الأسلحة المستخدمة في الحرب الاقتصادية نجد:

- المقاطعة الاقتصادية: وتكون من خلال عدم استيراد سلع إحدى الدول أو التصدير لها.
- الحصار الاقتصادي: ويكون عن طريق المنع الكلي لدخول وخروج أي سلعة سواء عن طريق البحر، أو البر، أو الجو إلى المنطقة الواقعة تحت الحصار.
- اختراق الأسواق والاحتكار والإغراق: والهدف من ذلك جعل اقتصاد الدولة المنافسة غير قادرة على المنافسة.
- صنع الأزمات الاقتصادية: سواء المالية أو المتعلقة بالبنوك والبورصات أو التي تؤدي إلى الركود. (أحمد، 2019، صفحة 18،26)

وما يزيد من فعالية مختلف الأسلحة الاقتصادية هو التشابك والتعقيد الذي أصبح يميز الواقع الدولي، ومن بين أخطر الأسلحة أيضا في الحروب الاقتصادية نجد حرب العملات التي يكون الهدف منها هو إضعاف القوة التنافسية للدول المعادية وذلك عن طريق إضعاف السياسة النقدية لهذه الدول.

✓ **الحرب الالكترونية:** يغيب الإجماع حول إعطاء تعريف شامل لمفهوم الحرب السيبرانية، ومرد ذلك يعود إلى تداخل عدة مجالات مع بعضها البعض مما يؤدي إلى إعطاء تعريفات متباينة، ولعل أهمها تعريف وزارة الدفاع الأمريكية للحرب الالكترونية على أنها «نوع من أنواع القتال الذي يستهدف النصر من خلال إخضاع الخصم والنيل من إرادته وهزيمته دون أن ينجر عن ذلك سفك للدماء في المجال السيبراني».

أما حلف الناتو فعرفها بأنها «ذلك القسم العسكري الذي يستخدم إلكترونيات تهتم بالإجراءات التي تتخذ لمنع أو تقليل استخدام العدو لطاقته الكهرومغناطيسية المنبعثة الفعالة، والإجراءات التي تتخذ لحماية طاقتنا الكهرومغناطيسية المنبثقة الفعالة» (دريسي، 2022، ص ص 909،922) ، وتعتبر الهجمات الإلكترونية التي تعرضت لها استونيا سنة 2007 بمثابة نقطة التحول الرئيسية في الاهتمام بهذا النوع من التهديدات الأمنية، والتي تتزايد حدة أخطارها نتيجة للتطور السريع والمستمر الذي يعرفه الواقع المعلوماتي، وهذا ما يزيد من خطورة هذا النوع من الحروب خاصة مع التوجه الكبير الذي تعرفه الدول نحو رقمنة مختلف مجالاتها وتعاملاتها، وأصبح ارتباط الدول بتكنولوجيات الإعلام والاتصال يشكل تهديدا حقيقيا لأمنها القومي، خاصة مع تزايد توظيف هذه التكنولوجيات بطرق غير سلمية. (دريسي، 2022، ص 919).

ويتجلى تأثير الحروب السيبرانية على أمن الدول من خلال ما يلي:

- **تصاعد المخاطر الإلكترونية:** خاصة مع زيادة اعتماد الدول على شبكة الإنترنيت في أداء مختلف تعاملاتها.
- **عسكرة الفضاء السيبراني:** فالتوظيف العسكري للفضاء السيبراني يساهم في تعريض الأمن القومي للدول للخطر.
- **إدماج الأمن السيبراني ضمن أجندات الأمن القومي للدول:** وذلك من خلال استحداث وحدات متخصصة في الحروب الإلكترونية، إلى جانب إقامة وحدات بغرض تأمين الدول لنفسها إلكترونيا.

- **توتر العلاقات الدبلوماسية:** لأن قيام أي دولة بشن هجمة إلكترونية على دولة أخرى من شأنه أن يوتر العلاقات الثنائية بينهما (دريسي، 2022، ص 920).

✓ **حروب المخدرات:** يتجلى هذا النمط من الحروب من خلال العمل على إغراق إحدى الدول بالمخدرات والمواد الدوائية المخدرة، والهدف من وراء ذلك هو العمل على تفكيك وتدمير المجتمع من الداخل، ولعل أهم التطورات التي عرفها هذا المجال تتمثل في تكوين شبكات تضم عصابات الجريمة المنظمة والجماعات الإرهابية، حيث تجمعها علاقات تعاونية لتحقيق أهداف كل طرف، وما ساعد على تنامي هذه الظاهرة هو توفر الظروف الملائمة لذلك منها ضعف الدولة وعجزها عن السيطرة على إقليمها خاصة في دول العالم النامي، إلى جانب وجود صراعات داخلية ممتدة (منصور، 2019، ص ص 133-134).

3. مستويات تأثير الفواعل العنيفة الجديدة في مسار الحروب على ضوء النزاع الليبي:

1.3/ مستوى الفرد والجماعات والتغير في طبيعة العنف: حصل تغيير كبير في التركيبة السكانية لضحايا الحرب في الحروب الحديثة؛ وحصل أيضا تغير في طبيعة العنف في الحروب الجديدة الذي أصبح مزيجا بين العنف العسكري والعنف المدني. لقد أضحى السلاح جزء من الاحتياجات اليومية للسكان المدنيين باعتبارها حرب دون حدود، تنتشر في الفضاء الجغرافي والاجتماعي بشكل متزامن، وكونها حروب تتجاوز معايير وعقيدة الحروب النظامية، فمن الصعوبة بما كان التمييز بين القوات العسكرية والقوات المدنية، حتى أن استهداف المدنيين قد أصبح أحد الأدوات الأساسية للحرب، (عبد الأمير، 2022، ص 297)، لتصبح بذلك غالبية الوفيات المعاصرة تحدث نتيجة قتل غير مباشر، مما يعني تزايد الضحايا المدنيين جراء الإصابات.

والواقع أن الأمر لم يقتصر على تزايد الضحايا المدنيين فحسب، ولكن بشكل محدد النساء والأطفال، ولعل ذلك مرتبط بالأساس بدوافع الحرب وأهدافها التي لم تعد تقتصر على الجغرافية السياسية بل تعتمد على عوامل أخرى مثل الهوية؛ لذلك شرعت الفواعل العنيفة من غير الدول في تكييف أساليب الحرب من خلال التركيز على السيطرة على أفراد المجتمع، كما أصبحت ممارسة العنف ضد المدنيين وسيلة للسيطرة على المناطق والجماعات في آن واحد. وقد ساعدت هذه الديناميكية في انتشار الحروب واتساع نطاقها على الصعيد العالمي بالنظر لعدم ارتباطها بنطاق مكاني معين أو بساحة معركة واضحة الحدود، فهي قد تحدث في أماكن غير متوقعة (عبد الأمير، 2022، ص296)،خاصة أن ممارسة العنف لم تعد حكرا على الوحدات النظامية، فقد جاء في كتاب "ماري كالدور" أن الحروب الجديدة تتميز بتعدد أنواع الوحدات المقاتلة: القوات المسلحة النظامية، الجماعات شبه النظامية، وحدات الدفاع الذاتي، المرتزقة الأجانب والقوات النظامية الأجنبية التي تعمل تحت الرعاية الدولية (كالدور، 2009، صفحة 140). لذلك لا يبدو غريبا أن تنتشر ثقافة العنف بين مختلف فئات المجتمع.

لقد حصل تغيير كبير في التركيبة السكانية لضحايا الحرب؛ إذ أصبحت غالبية الوفيات في الحرب المعاصرة نتيجة قتل غير مباشرة جراء الإصابات المتعلقة بالحرب، خاصة بالنسبة للنساء والأطفال، ولعل ذلك مرتبط بدوافع الحرب وأهدافها التي لم تعد تقتصر على دوافع الجغرافيا السياسية بل تعتمد على الهوية، لذلك شرع الفاعلون في الحرب على تكييف أساليب الحرب والتركيز على السيطرة على أفراد المجتمع. وبهذا الأساس، يمكن القول أن ممارسة العنف قد أصبحت وسيلة للسيطرة على المناطق والجماعات في آن واحد، وقد ساعدت هذه الديناميكية في انتشار الحروب الجديدة على الصعيد العالمي، لعدم ارتباطها بالضرورة بموقع أو ساحة معركة معينة، إنما تحدث في أماكن غير متوقعة وقابلة للانتشار عالميا في أية لحظة. (عبد الأمير، 2022، ص296).

2.3مستوى الدولة: تأثير الفواعل العنيفة على الدولة القومية:

1.2.3 تأثير الفواعل العنيفة على تفكيك الدولة: حصل إجماع بين العلماء المهتمين بدراسة الحروب الجديدة على أن لهذه الفواعل الجديدة تأثير مفتت للدولة، فقد أكدت "ماري كالدور" Mary Kaldor على أن الحروب الجديدة تحدث في سياق تفكك الدولة، تخوضها شبكات من الفواعل غير الدولاتية، وغالبا ما يوجه العنف ضد المدنيين كنتيجة لتكتيكات التمرد ومكافحة التمرد أو عمليات التطهير العرقي أو غيرها، فهي حروب يصعب فيها التمييز بين المقاتلين وغير المقاتلين داخل الدولة الواحدة، وذلك بسبب فقدان مؤسسات الدولة لاحتكار العنف، و بفعل الاختراق الذي قادته الفواعل الجديدة مثل أمراء الحرب والمتمردين، وقد أدى هذا الاختراق إلى أن أصبح للعنف أنماط متداخلة من العنف عسكري والعنف المدني، تتجاوز معايير العقيدة النظامية للحروب. (عبد الأمير، 2022، ص 297). ففي الفترة التي أعقبت نهاية الحرب الباردة، تغير منطق الحرب ولم تعد الحكومة هي الطرف الوحيد الذي يمكنه شن الحرب واحتكار ممارسة العنف في ظل تصاعد الفاعلين العنيفين من غير الدول، لذلك فقد أصبحت أهداف الحرب غير واضحة.

أدت هذه التغيرات المستجدة إلى إطالة أمد الحروب الجديدة إلى غاية نفاذ الموارد والإمدادات، وتراجع قدرات الدولة، ما يؤدي إلى تفكك مجتمعها وانهيار الدولة في مرحلة لاحقة.

3.2.2 تأثير الفواعل العنيفة على سيادة الدولة: تساهم الفواعل العنيفة من غير الدول في زعزعة الاستقرار في كل أزمة إنسانية وسياسية تقريبا، وصعود هذه الفواعل إنما يمثل خروجا عن النظام الويستفالي التقليدي للدول من خلال:

- توفير بديل لحكم الدولة
- تحدي احتكار الدولة للعنف

وكون بروز هذه الفواعل نابع من فشل الدولة فهي تساهم في مزيد من تقويض حكمها، عندما تكون الدول الضعيفة عاجزة عن الحفاظ على ولاء شعوبها، فالأفراد والجماعات عادة ما يبحثون عن و يطورون أنماطا بديلة من الانتماء، وهذا ما يجعل الأسرة والقبيلة والعشيرة وغيرها وحدات مرجعية رئيسية للعمل السياسي، الذي غالبا ما يكون في شكل معارضة سياسية لنظام الحكم في الدولة.(CHoudhry, 2013, p. 168) ، فقد أصبح تنظيم "داعش" أكثر انتشارا بعد الأزمة السورية وما عرف بثورات الربيع العربي، خاصة بعد سيطرته على مناطق شاسعة من العراق قدرت بأكثر من ثلث مساحته عام 2014، وبعد إعلانه عن هدفه في تحويل دولته الافتراضية إلى دولة حقيقية قائمة على أرض الواقع. (الهرمزي، ص 153).

في هذا الصدد يقول "فيل ويليامز" Phil Williams في مقالة له حول النزاعات العنيفة من غير الدول، أنها أصبحت تشكل تحديا للدول القومية في القرن الحادي والعشرين في أجزاء مختلفة من العالم؛ حيث أن هذه الفواعل لا تعرقل نشاطات الشركات والفاعلين السياسيين فحسب، بل تنخرط أيضا في مجموعة من الأنشطة التي تتحدى سيادة الدولة وتضعفها، ونجد مصداقا لذلك في معظم الدول الإفريقية وآسيا الوسطى وأفغانستان أين يعتبر أمراء الحرب فاعلين أساسيين في النظام السياسي والاقتصادي لدولهم (CHoudhry, 2013, p. 167).

على مستوى الواقع، شهدت ليبيا تصاعدا كبيرا للجماعات المسلحة والميليشيات في ليبيا منذ سنة 2011، مما أدى إلى نشوب نزاعات مسلحة قادتها ميليشيات من مصراتة ومناطق الغرب الليبي التابعة للتيارات الاسلامية، من أجل فرض السيطرة على العاصمة طرابلس وأجزاء كبيرة من ليبيا، حيث نشب نزاع مسلح بين عملية فجر ليبيا بقيادة مصراتة وعملية الكرامة بقيادة اللواء المتقاعد خليفة حفتر ، أدى هذا النزاع إلى تدمير مطار وخزانات النفط بالعاصمة ، وأيضا اجتياح مناطق ورشفانة البالغ عدد سكانها 800000 نسمة، وما تبع ذلك من عمليات تهجير للسكان وتدمير لممتلكاتهم، فضلا عن عملية عسكرة العملية السياسية التي تمت بانتخاب مجلس النواب. (المريض،2017، ص90). على صعيد آخر استولى تنظيم الدولة الاسلامية

على مدينتي "درنة" و "سيرت" واستقل بهما عن الدولة الليبية، حتى إنه تم تعيين حاكمين غير ليبيين لهما، (احميدة، 2020، ص24)، كما ساعد توفر ملايين قطع السلاح على تزايد العنف وعسكرة النزاع، مما أدى إلى تشكل عدة جبهات داخلية أدت إلى حالة من الاستقطاب الحاد لمكونات المجتمع الليبي، خاصة مع تصاعد النزعة الانتقامية بين أفراد المجتمع .

على الصعيد الاقتصادي، تشير التقديرات إلى أن عدد الميليشيات المسلحة في ليبيا قد بلغ أكثر من (300) مجموعة، وقع الاقتصاد الليبي تحت سيطرتها منذ سنة 2011، مما أفرز اقتصاد ميليشيات فرض إملاءاته على الحكومات، خاصة أنها سيطرت على الموانئ والحقول النفطية، مما ألحق خسائر مالية معتبرة للدولة الليبية، قدرت بحوالي (160) مليار دولار في السنوات الخمس الأولى من اندلاع الحرب الداخلية، كما أغلقت منذ أفريل من سنة 2022 ستة حقول نفطية ومحطات تصدير، نجم عنه انخفاض في انتاج النفط بحوالي (400) ألف برميل يوميا مقارنة بمليون برميل في مارس من العام نفسه. وفي المقابل تم تسجيل مبيعات غير قانونية لكميات النفط والبنزين والديزيل قيمتها (20%) من دخل الجماعات المسلحة غير الحكومية المشاركة في الحرب الليبية (المركز الأوربي لدراسة مكافحة الإرهاب والاستخبارات، 2022، ص ص 18-19).

تعكس هذه التطورات حالة الانفلات الأمني التي شهدتها ليبيا، و تراجع سيادة الدولة على كامل إقليمها جراء عجزها عن ممارسة الوظائف المنوطة بها، مما أدى إلى انهيار مؤسسات الدولة لصالح الفاعلين الجدد، الذين ساهموا في تعقيد الوضع وإطالة امد الحرب وعرقلة العملية السياسية، التي تهدف إلى بلوغ تسوية سلمية بين الأطراف.، وذلك بفعل تمكنهم من ضمان التمويل غير القانوني لأعمال العنف والتخريب

4.3/ المستوى الإقليمي و العالمي:

يمكن التماس الأبعاد الإقليمية والعالمية للحروب الجديدة في حالة الحروب والنزاعات الداخلية، التي تملك امتدادات وتأثيرات على دول الجوار، سواء من خلال روابط اثنية أو دينية، مما يدفع بالفواعل الخارجية للتدخل كفاعلين مؤثرين في الحروب الداخلية. أو من خلال الانعكاسات التي تنجر عن هذه الحروب من تدفقات اللاجئين والمهاجرين وما ينجر على ذلك من تأثيرات سلبية على الأمن والاستقرار، في مثل هذا الوضع يمكن التمثيل بحالة النزاع في دارفور التي شهدت حرب إبادة جماعية من قبل الحكومة السودانية ضد المدنيين في دارفور، واستمر الحال كذلك إلى أن انسحبت معظم حركات التمرد واتجهت نحو ليبيا. فتم إعادة تشكيل التحالفات السياسية الإقليمية خاصة بين تشاد والسودان وليبيا؛ حيث دعمت تشاد حركات المعارضة المسلحة في السودان في الفترة الممتدة من 2005 إلى 2009، وساهمت ليبيا من خلال توحيد عدد من فصائل المعارضة المسلحة ضمن تحالف أطلق عليه "القوات الثورية لتحرير السودان" أو "جماعة طرابلس" مما عزز من قوتها (حسن، 2021، ص 9) .

لكن مع حالة التقارب التي حدثت بين حكومة السودان و تشاد، قامت هذه الأخيرة بتصعيد حدة الضغوط على حركة العدل والمساواة من أجل توقيع اتفاق سلام مع حكومة السودان، وقامت باحتجاز زعيم الحركة ومرافقيه وترحيلهم إلى ليبيا، فكان رد الحكومة السودانية بغلق الحدود البرية مع ليبيا من أجل الحد من تهديد الفاعلين غير الشرعيين. من جهة أخرى فقد ساهمت السودان في تسليح المعارضة الليبية ممثلة في قوات المجلس الانتقالي الليبي من أجل الإطاحة بنظام القذافي كما صرح بذلك الرئيس السوداني عام 2011 (حسن، 2021، ص 10). من كل ما سبق يمكن القول أن هذا النمط من الحروب الجديدة الذي يكون داخل الدولة إنما يمثل فرصة مناسبة لتحقيق المصالح المختلفة والمتضاربة بين مختلف الفاعلين فيها، مما يزيد من تعقيدها وطول أمدها.

على صعيد آخر فقد أصبحت التدخلات الخارجية والحرب بالوكالة من المظاهر الرئيسية في الحروب الجديدة، وباتت الأطراف الخارجية تعتمد بصورة مباشرة على الفواعل من غير الدول لتحقيق أهدافها الاستراتيجية، مما ساعد في توسعها

وانتشارها، ويبدو ذلك جليا في المنطقة العربية التي أصبحت ميدانا للفواعل المسلحة من غير الدول، ابتداء بتنظيم القاعدة مرورا بالحوثيين ووصولا لتنظيم داعش. إذا رجعنا إلى التجارب السابقة، فإننا نتذكر كيف انشغلت كل من بلجيكا وفرنسا بالحرب الأهلية في رواندا، وكيف انشغلت بريطانيا بالحرب الأهلية في نيجيريا من خلال تزويد الحكومة النيجيرية بالسلاح مما ساهم في إطالة أمد الحرب الأهلية التي عرفتها.

يعتبر التدخل الخارجي في الحروب الداخلية إجراء استثنائيا ينفد في حالة بلوغ الحرب أو النزاع مرحلة تهدد الأمن الإقليمي والعالمي، إلا أن هذا الإجراء لا ينفده سوى دول أو منظمات لها مصالح في هذا التدخل، لهذا السبب بالذات كان التدخل في الحرب الأهلية في الصومال وفي البوسنة والهرسك وفي ليبيا عاملا أساسيا في استمرار ها، بل إن التفويض بالتدخل غالبا ما ينحرف عن أهدافه المسطرة تماما كما حدث مع تدخل حلف الناتو في ليبيا، فبعدما كان يهدف لمنع الطيران وحماية المدنيين من القصف، أصبح يسعى لإسقاط النظام الليبي الذي هو في الأساس شأن داخلي، وذات الأمر قام به مجلس الأمن في سوريا مما انجر عنه أزمة إنسانية عالمية، خاصة مع استمرار روسيا في تزويد الحكومة السورية بالسلاح، واستمرار الدول الغربية وتركيا وقطر بتسليح المعارضة ودعمها (بوراس، 2014، ص ص118،115).

جذير بالتنويه أن الدول لا تتعامل مع الحروب الداخلية بطرق متماثلة، ففي حرب الشيشان ورغم كونها حرب داخلية من أجل الانفصال، و بالرغم من أن ما حدث في التبت بالصين حرب داخلية كذلك من أجل الانفصال إلا أن الدول قد تحاشت المواجهة الصريحة مع دول كبرى كثل روسيا والصين، أي أن هذه القضايا قد اعتبرت داخلية كونها ستمس مباشرة بتوازن القوى أو بتويع مناطق النفود، مما يؤثر على السلم والأمن الدوليين (بوراس، 2014، ص 123).

الخاتمة

انطلاقا مما تم التطرق إليه حول تصاعد الفواعل العنيفة من غير الدول، وما تزامن معه من تطور الحروب تم التوصل لجملة من النتائج نوجزها فيما يلي:

- تتميز الفواعل العنيفة بتعددها ، وتتمظهر في أشكال مختلفة تتراوح بين المتمردين، وأمراء الحرب، و جيوش المرتزقة، وتجار المخدرات، وشركات الأمن الخاصة وغيرها.

- تتشارك الفواعل العنيفة من غير الدول في اعتمادها على استخدام العنف في تحقيق أهدافها وخدمة مصالحها على حساب مصالح الدول.

- أدى تصاعد الفواعل العنيفة من غير الدول إلى تغير أهداف الحروب ووسائلها وفواعلها، فبعدما كانت تدور بين دول متماثلة ذات سيادة، أصبحت الآن تدور بين الدولة وفواعل تحت دولاتية غالبا ما تكون من مكوناتها.

- تزامن تصاعد الفواعل العنيفة من غير الدول مع انتشار الدول الفاشلة والمنهارة، مما جعل قدرة الدولة محدودة في التحكم بمسار الحروب والنزاعات، وجعل هذه الفواعل ميكانيزمات تستخدمها الفواعل الخارجية في إدارة مصالحها داخل الدول، مما جعل الحروب الداخلية تمتد طويلا.

- من جوانب تأثير الفواعل العنيفة من غير الدول على طبيعة الحروب الجديدة أن أصبح العنف موجها ضد المدنيين وليس ضد الجيوش النظامية، مما ساهم في تشويه البنية المجتمعية للدول.

- إن تصاعد الفواعل العنيفة من غير الدول باعتبارها وحدات مرجعية لتعبئة نزاع أو حرب معينة يدفع باتجاه تطوير آليات جديدة تتلاءم مع طبيعة الأهداف التي ترمي إليها هاته الفواعل، وهو ما يعني التركيز على الجوانب العسكرية أو الردعية

من طرف الدولة بالتزامن مع اعتماد مقاربات تنموية واجتماعية وثقافية تساهم في الحفاظ على الولاء للدولة القومية، ومن ثم منع نشوب النزاعات والحروب أو منع تصعيدها.

- في الأخير يمكن القول أن تأثير الفواعل العنيفة من غير الدول على مسار الحروب الجديدة ينبع بالأساس من تأثيرها على تراجع مكانة الدولة كفاعل أساسي في إدارة علاقاتها السلمية والعنيفة على حد سواء.

التوصيات:

انطلاقا مما تم التطرق إليه نوصي بما يلي:

- اتباع مقاربة شاملة في مواجهة الفواعل العنيفة من غير الدول، تجمع بين الآليات الوقائية ممثلة في اتباع المقاربة التنموية و الآليات العلاجية ممثلة في المقاربة العسكرية والردعية.
- تعزيز قوة الدولة القومية من خلال استحداث آليات تستوعب مختلف مكوناتها الداخلية.
- تعزيز التعاون الإقليمي والدولي في مواجهة الفاعلين العنيفين من غير الدول بالنظر لقدراتها في تخطي حدود الدولة القومية والتأثير العالمي لنشاطاتها غير الشرعية.

قائمة المراجع:

Call, G. (2013, October). Armed non-State actors and displacement in armed conflict.

CHoudhry, R. (2013, Winter). Violent Non State Actors:contours, challenges and conceauences. *CLAWS*, 167-187.

Djebbi, S. (2010, Mai). Les Complexes Conflictuels Regionaux,"Les Complexes Regionaux De Securite". *Fiche de llrsem*(5).

Phil, W. (2008). Violent non-state Actors and National and International Security. (F. I. Technology, Ed.) 9.

أحمد بوراس. (ديسمبر, 2014). التدخل الخارجي في الصراعات والحروب الأهلية. *مجلة العلوم الانسانية، ب*(42)، 107-131.

أحمد حسن. (21 4, 2021). حركات التمرد السودانية في ليبيا. (منتدى العاصمة للدراسات السياسية والمجتمعية، المحرر) ليبيا.

إدريس عطية. (بلا تاريخ). الإرهاب كمصدر جديد لتهديد الأمن في الساحل الإفريقي: أولويات بناء الأمن بدل استيراده.

المركز الأوربي لدراسة مكافحة الإرهاب والاستخبارات. (24 سبتمبر, 2022). *الميليشيات المسلحة،عوامل الظهور، المخاطر*. تاريخ الاسترداد 22 07, 2023، من : https://cutt.us/svR7G

جهاد عبد الملك عودة، محمد عبد العظيم الشيمي، و ريهام محمد أحمد أحمد حسين. (بلا تاريخ). الفواعل العنيفة من غير الدول: رؤية استطلاعية. *المجلة العلمية للبحوث والدراسات التجارية، 31*(3)، 566.

جهاد عبد الملك عودة، و محمد عبد العظيم الشيمي. (2017). الفواعل العنيفة من غير الدول: رؤية استطلاعية. *المجلة العلمية للبحوث والدراسات التجارية، 31*(3)، 559-575.

حسام عبد الأمير خلف. (ديسمبر, 2018). الحروب الهجينة: تحدي جديد للقانون الدولي الانساني. *مجلة جامعة الأنبار للعلوم القانونية والسياسية*(14)، 44-67.

حسين باسم عبد الأمير. (سبتمبر, 2022). حروب ما بعد الحداثة وانعكاساتها على الدولة الحديثة: الصراع في سوريا أنموذجا. *مجلة الدراسات الإستراتيجية والعسكرية، 4*(16)، 286-306.

حنان دريسي. (2022). الحرب السيبرانية: التحول في أساليب القتال وثبات في المبادئ والأهداف. *مجلة الفكر القانوني والسياسي، 6*(1).

خالد بشكيط. (جوان, 2018). التهديدات اللاتماثلية في منطقة الساحل الافريقي: الإرهاب والجريمة المنظمة دراسة في حدود العلاقة. *مجلة أبحاث قانونية وسياسية*(6)، 217-231.

رجب ضو المريض. (جوان, 2017). عسكرة النزاعات السياسية في ليبيا. *دفاتر السياسة والقانون*(17)، 77-92.

زينب فريخ. (2021). أجيال الحرب: دراسة في محددات تطور الأجيال الخمس للحرب. *دفاتر السياسة والقانون، 13*(2)، 542-555.

سيف نصرت توفيق الهرمزي. (نوفمبر, 2017). فواعل النظام الدولي الجديد في القرن الحادي والعشرين. *مجلة تكريت للعلوم السياسية، 3*(11)، 129-165.

شادي عبد الوهاب منصور. (2019). *حروب الجيل الخامس: أساليب"التفجير من الداخل" على الساحة الدولية*. القاهرة، مصر: العربي للنشر والتوزيع.

شهرزاد أدمام. (2016). استخدام القوة العسكرية بعد الحرب الباردة: تغير المفاهيم والفواعل. 226. الجزائر، كلية الحقوق والعلوم السياسية، الجزائر.

علي عبد اللطيف احميدة. (2020). *دراسة تمهيدية عن المجتمع في ليبيا: الواقع والتحديات والآفاق* (المجلد 2). بيروت، لبنان.

ماري كالدور. (2009). *الحروب الجديدة والحروب القديمة..تنظيم العنف في الحقبة الكونية*. (زينة حسني، المترجمون) بيروت: دراسات عراقية، نعهد الدراسات الاستراتيجية.

محمود علي أحمد. (2019). *الحروب المعاصرة وعلاقتها بحروب الجيل الخامس*. مصر: جامعة أسيوط.

مؤسسة ماعت للسلام والتنمية وحقوق الانسان. (2020). *تقرير عن نشاط المرتزقة في ليبيا*.